ثقافة المجتمع الجزائري بين الثبات والتغير – رؤية أنثروبولوجية

Algerian society culture between stability and change - an anthropological vision

خالد خواني، جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر

khaledkhouani@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/07 تاريخ القبول: 2022/11/18 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

تهدف الدراسة إلى إبراز العوامل الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والتكنولوجية (وسائل الاتصال الحديثة) التي تدخلت في تغيير ثقافة المجتمع الجزائري لأن من خصائص الثقافة التغير وهذه طبيعة الإنسان في كل الأزمنة والأمكنة حسب قانون الحاجات. رغم هذه التغيرات الثقافية يبقى المجتمع الجزائري محافظا على ما هو ثابت ويصبو للتغيير تماشيا مع ضروريات العصر.

الكلمات المفتاحية: ثقافة، أنثروبولوجيا، مجتمع جزائري

Abstract:

The study aims to highlight the social, political, economic and technological factors (modern means of communication) that intervened in changing the culture of Algerian society because one of the characteristics of culture is change and this is the nature of man in all times and places according to the law of needs. Despite these cultural changes, Algerian society remains consistent with what is fixed and aspires to change in line with the necessities of the times.

Keywords: culture, anthropology, Algerian society

مقدمة:

تهدف الدراسة إلى إبراز العوامل الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والتكنولوجية (وسائل الاتصال الحديثة) التي تدخلت في تغيير ثقافة المجتمع الجزائري لأن من خصائص الثقافة التغير وهذه طبيعة الإنسان في كل الأزمنة والأمكنة حسب قانون الحاجات. رغم هذه التغيرات الثقافية يبقى المجتمع الجزائري محافظا على ما هو ثابت ويصبو للتغيير تماشيا مع ضروريات العصر

ينفرد كل مجتمع بخصائص ثقافية خاصه به من صنعه، كما قد تجرى عليها تعديلات نتيجة التغيرات السياسية، الاقتصادية والسياسية أو بالاحتكاك بمجتمعات أخرى عن طريق العملية الاتصالية.

تعددت ثقافات المجتمع الجزائري لشساعة جغرافيا الجزائر ولتاريخها الضارب في الأعماق، وكذلك لتعدد الحضارات التي مرت عليها ومختلف الاستعمارات التي مرت عليها، وبالتالي لكي نتمكن من الشروع في مشروع لتعزيز الثقافة في الجزائر ، سيكون من الضروري تحديد مكانها وفهمها وبلورتها ومعرفة تحدياتها؛ كما من الضروري التعرف على موقف الفرد الجزائري من ثقافته، وماذا يتوقع منها ، وكيف يراها؟.

لهذا ، وقبل الشروع في إنشاء آلية وبدائل (حلول) لمشروع الثقافة ، ولإدارة هذا القطاع بشكل جيد ، لابد من العودة إلى نشأته من الناحية التاريخية، السياسية، الأنثروبولوجية والاجتماعية ؛ كما أن محاولة التوفيق بين الجانبين ومعرفة ما إذا كانت الدولة الجزائرية قد نجحت حتى الآن في التنسيق بين قراراتها السياسية الرسمية وأعراف مجتمعها قد يمكننا من إيجاد النتيجة الموضوعية لهذا التراكب ، فعندئذ يمكن ايجاد الحلقة المفقودة ووضعها في المكان الذي تنتمي إليه ، وبناء الثقة بين المجتمع وصناع القرار.

لهذا، هل يجب توحيد الثقافة، كما كان الحال دوليًا؟ : موسيقى ، فنون ، فولكلور ، أدب ، إلخ. أو أن نذهب لبلورة هوية المجتمع الجزائري، لإظهارها بكل أشكالها ، ومن ثم الإشارة إلى "خصوصية" المجتمع التي ستسمح له بتمييز نفسه إقليميًا وعالميًا .

ونذكر ما قاله Herriot :" الثقافة هي ما يبقى لنا بعد ان ننسى كل شيء" ، كما أن المدرسة الأنجلوسكسونية الأنثروبولوجية التي تربط الثقافة بالسلوكيات و القيم و العادات الخ مثل ما حدده ادوارد تايلور E. Taylor.

هنا بالذات نشير رياضيا إلى المعادلة أو بالنسبة بين ما أنتجته، عملية أو صناعة نخبة مثقفة مثالية من جهة، وما هو موجود واقعيا لدى سائر أفراد المجتمع مع "قشور الثقافة النظامية العالمية" الملقاة لهم من جهة اخرى.

هذه النسبة الرياضية : الثقافة المثالية/الثقافة الواقعية هي التي تُوسع وتُعمق الهوة التي تخلق ما يسمى بالتخلف الثقافي والعكس صحيح.

هل علينا ان نمتثل لهذه العلاقة الرياضية، و نحن نمتلك كنوز من عقلاء ينتمون بعُمق لهذه الأرض و تراثها و خصوصيتها و قيمها العريقة.

نتيجة لذلك، يمكننا أن نرى من خلال هذه الاقتباسات والتعريفات القليلة ، أنها بالفعل مشكلة حقيقية داخل مجتمع له تقاليده وخصوصيته المنقولة عبر الاجيال، وفي سياق احتلال استمر أكثر من قرن، من خلال إنشاء عناصر يفترض أنها دخيلة على هذا المجتمع نفسه، ومن هنا أولى بوادر حالة الأزمة الثقافية في الجزائر. هل يمكننا بسهولة تحديد خصوصيات ما يسمى حرفياً "ثقافة" المجتمع الجزائري؟ هل هي منسجمة مع كل الجزائريين؟ هل أثرت العوامل السياسية والأمنية (العشرية السوداء) على هذه الثقافة؟.

والسؤال الكبير إذا كان صناع القرار الجزائريون هم من أسسوا عملية ملائمة والمجتمع الجزائري إذا كان الأمر كذلك ، فهل تم توحيدها لتلبية المعايير العالمية ببساطة؟ أم أنها تعكس عادات وخصوصيات المجتمع الجزائري؟.

1-المفاهيم المرتبطة بالدراسة:

1- الثقافة: ساهم العالم البريطاني الأنثروبولوجي الشهير إدوارد تايلور في تدعيم العلاقة بين الثقافة والأنثروبولوجيا، وقد جاء تعريفه للثقافة في الكتاب الذي أصدره عام 1871م بعنوان "الثقافة البدائية" بقوله: "هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع" ، وهذا النص هو أكثر نص عُرف به تايلور، ويمكن تمييز جانبين رئيسيين في الثقافة وهما: الجانب المعنوي اللامادي والجانب الآخر هو الجانب المادي الذي يشمل كل مخترعات واكتشافات الإنسان في الناحية المادية من الحياة (مصطفى وابراهيم، 2009، ص27).

ومن خلال هذا التعريف للثقافة ظهر ميدان الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع متخصص مستقل عن الأنثروبولوجيا العامة، ومن مجالاته الدراسية علم اللغويات الذي يبحث في أصل اللغات الإنسانية ووسائل الاتصال والتعبير السائدة عند مختلف الشعوب قديمها وحاضرها.

وعند النظر في هذا التعريف فحصاً وتحليلاً لعناصره ومكوناته، يمكن تحديد الثقافة في النقاط التالية:

أولاً: إن الثقافة هي من المفاهيم الكلية وليست من المفاهيم الجزئية، فهي ذلك الكل كما قال عنها تايلور، والكلي والجزئي من مفاهيم المنطق، وأهل المنطق يعرِّفون الكلي بأنه المفهوم الذي لا يمتنع صدقه على أكثر من واحد، وأما الجزئي فهو المفهوم الذي يمتنع صدقه على أكثر من واحد (المظفر، 1985، ص59).

وهذا يعني أن الثقافة من المفاهيم التي لا يمتنع صدقها على أكثر من واحد، سواء كان هذا الواحد من أقسام العلوم، أو من أقسام الآداب، أو من أقسام الدين والأخلاق، وذلك بخلاف الجزئي الذي يتحدد وينحصر في عنصر واحد، ويمتنع صدقه على أكثر من واحد.

ثانياً: إن الثقافة هي من المفاهيم المركبة، وليست من المفاهيم البسيطة فهي ذلك الكل المركب حسب عبارة تايلور. والمركب يطلق على المفهوم الذي يحتوي أجزاءً وعناصر متعددة، والبسيط يطلق على المفهوم الذي يفتقد لتلك الأجزاء والعناصر المتعددة.

بمعنى أن المركب يتقدم وجوداً وفاعلية بتلك الأجزاء والعناصر، والبسيط يتقدم وجوداً وفاعلية بذاته دون الحاجة لتلك الأجزاء والعناصر المتعددة. والمركب لا يكون كاملاً بذاته إلا بانضمام أجزائه وعناصره المكونة له. والثقافة بهذا المعنى هي ذلك المركب من أجزاء وعناصر، ولا تتحقق وجوداً وفاعلية إلا بتعاضد تلك الأجزاء والعناصر.

ثالثاً: لهذا فإن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والعرف والقانون، وكل القدرات والعادات الأخرى. وهذا يعني أن الثقافة ليست علماً؛ لأنها لو كانت علماً لانحصرت وتحددت في نطاق ذلك العلم، وبصورة لا تخلو من الصرامة، بحيث يمتنع عليها تجاوز الحدود التي يفرضها قانون العلم. ولأن الثقافة ليست علماً لذلك شملت المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون وغيرها.

رابعاً: إن الثقافة هي عملية اكتساب، وحسب تعبير تايلور التي يكتسبها الإنسان، والاكتساب مفهوم يقابل التوريث أو الانتقال الجبري والطبيعي، وله خاصية التأثر والتأثير. بمعنى أن الثقافة هي عملية اكتساب عبر وسائط التربية والتعليم والتنشئة، وعبر جميع طرائق التفاعل الاجتماعي، وليست عملية انتقال فطري أو غريزي، أو عبر طرائق المورثات البيولوجية. ويرى الدكتور أبو زيد أن كل العلماء الذين تعرضوا لمشكلة تعريف الثقافة، يعطون أهمية كبرى لعناصر التعليم أو الاكتساب، ويبعدون عنها كل ما هو غريزي أو فطري أو موروث بيولوجي (أبو زيد، 1978، ص42).

خامساً: إن الثقافة مفهوم يرتبط بالمجتمع، فهي -حسب تعبير تايلور- التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع، والاكتساب من المجتمع عملية مستمرة لا نهاية لها ولا توقف، وتحصل بوعي أو دون وعي، برغبة أو دون رغبة، ومن الصغر إلى الكبر. لهذا فقد أصبحت الثقافة تدرس وتعرَّف في نطاق علاقتها بالمجتمع، وفي الدراسات الأنثروبولوجية أصبحت تُربط بمفهوم التراث الاجتماعي، والذي يعني أن علاقة الثقافة بالمجتمع هي علاقة تفاعل قديمة، وتمتد إلى أجيال متعاقبة.

ويرى أبو زيد أن من خصائص الثقافة في الدراسات الأنثروبولوجية هي خاصية الاستمرار. وهذه الخاصية تابعة بالضرورة -كما يقول أحمد أبو زيد نقلاً عن رالف لينتون من تصور الثقافة على أنها التراث الاجتماعي الذي يرثه أعضاء المجتمع من الأجيال السابقة، فالسمات الثقافية لها قدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن (أبو زيد، 1978، ص40).

المفكر مالك بن نبي ، برأينا ، أفضل من بلور مصطلح الثقافة وإسقاطها على المجتمع الجزائري. فيما يلي بعض الاقتباسات:

- إن مشكلة الثقافة لا تنشأ بالنسبة لنا إطلاقا في التجريد ، في المسرح ، في السينما ، في دراسة الروائي أو في أسلوب الرقص الشعبي ، ولكن في ملموس حياتنا اليومية ، على حقل بناء ، في حقل نحرثه ...

- عندما نسأل في الجزائر السؤال: ما هي الثقافة؟ لا نعتقد ، في المقام الأول من وسائل الترفيه ، أن الفنون الشعبية أو المسرح والشعر يمكن أن تقدم لنا متنفسا، ولكن أولاً وقبل كل شيء ، بالحقائق الملموسة للتخلف: البطالة والأمية ونقص التغذية.

- مشكلة السلوك تتعلق بالثقافة ، ولكن بثقافة تم تصورها وتطويرها في إطار اجتماعي يشمل المجتمع بأسره وليس فئة اجتماعية معينة ، ولكن لجميع الطبقات الاجتماعية.

- أنت لا تتعلم ثقافة ، بل تتنفسها وتستوعبها مثل الأكسجين الموجود في الهواء.

- المدرسة عامل ثقافي ، لكننا مخطئون بشأن وظيفتها عندما نعتقد أنها وحدها القادرة على حل مشكلتها.

- يجب علينا مع ذلك الإصرار على أهمية جانبه السلبي عندما يجب على المجتمع أن يزيل بقايا نظام عفا عليه الزمن ويضع أسس نظام جديد (...) للجيل الذي صنع الثورة الجزائرية ، إنها تدور حول الترويج لمشروع ثقافي يتناسب مع بقع ثورتها (...) لقد علمتنا تجربتنا في الجزائر أن الثقافة لا يمكن نقلها: يجب إنشاؤها على الفور.

- المجتمع البدائي يضع المحرمات حول تقاليده ، ومعتقداته ، وأذواقه (...) مجتمع تاريخي ، والدفاع عن نمط حياته هو دفاع عن شخصيته (...) في مجتمع متحضر ، وأي نقص في الأسلوب ، يخضع لعقوبة.

- يجب على أي ثقافة أن تدافع عن تراثها بأن تضع أولاً بين الجسد الاجتماعي والفرد هذه المعاملة بالمثل التي تصحح الأخطاء أينما جاءت (...) لا يمكن ممارسة هذه المعاملة بالمثل إلا إذا كان الفرد مرتبطًا بالجسد الاجتماعي "باعتباره المادة مرتبط بالصرح كله "(...) إن دور الثقافة هو خلق هذا الارتباط الاجتماعي.

- الثقافة المتصورة في صيغة تربوية هي كل ما يلي: توليفة من أخلاق ، وجماليات ، ومنطق عملي وتقنية (...) مع تحقيق هذا التوليف ، بلد مثل الجزائر سيكون قد حدد أسلوب حياته العام.

- ما هي الثقافة؟ (...) لا يجد المرء أثرًا للكلمة في مصطلحات ابن خلدون (...) الكلمة ليست أكثر استخدامًا في العصر الأموي والعباسي (...) ومع ذلك ، فإن تاريخ هذه الفترة نفسها يظهر أن الثقافة العربية كانت في ذروتها (...) كانت لروما ثقافة إمبراطورية وأثينا ثقافة حضارة (...) لكن لم يخترع أي من العبقرية الرومانية ولا العبقرية اليونانية مصطلحًا لتسمية ثقافتهم (...) فكرة الثقافة حديثة وتأتي إلينا من أوروبا (...) في الواقع ، الثقافة هي الأصل الأكثر خصوصية للغة ما قبل الإسلام على الرغم من وجودها في بضع آيات من القرآن:" اقتلوهم أينما ثقفتموهم".

- مفهوم الثقافة حديث (...) ويأتي إلينا من أوروبا. والكلمة التي تدل على ذلك هي نفسها ثمرة أصيلة للعبقرية الأوروبية.

- المدرسة الغربية ، التي بقيت وفية إلى حد ما لتقاليد عصر النهضة ، تعتبر الثقافة نتاجًا للعقل، أي الإنسان بالنسبة للمدرسة الماركسية الثقافة هي في الأساس نتاج المجتمع.

2-أنثروبولوجيا: تعرّف بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة، ويقوم بأعمال متعدّدة، ويسلك سلوكاً محدّداً؛ وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل. ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوّراً، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله (أبو هلال، 1974، ص 9).

وتعرف الأنثروبولوجيا أيضاً، بأنّها علم (الأناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنّه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلّها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميّز عنها جميعاً (الجباوي،1997، ص 9).

كما تعرّف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة بأنّها "علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً (سليم، 1981، ص 56).أي أنّ الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه.

2-الثقافة في الجزائر:

تنقسم الثقافة الجزائريّة إلى حقلين كبيرين، أو فترتين، الفترة التقليديّةّ، والفترة الحديثة: الفترة التقليديّة فهي تلك التي تتمثّل بالثقافة الموروثة من الماضي، أو ما تسمّى التراث، وهذه الفترة تتكوّن من الأجزاء التالية:

- الدين: تشمل كل المعتقدات والعبادات.

- الموروث المكتوب: يشمل كافة المؤلفات الأدبيّة، والدينيّة، والرحلات التاريخيّة، والتاريخ المكتوب.

- الموروث الماديّ: يشمل العمران القديم، والزخارف التراثيّة، والأعمال اليدويّة، والمساجد، والقصور، والقلاع.

- الموروث الرمزيّ: وشمل الشعر، والقصص، والغناء الفلكلوري، والألعاب، والحكايات.

خلال الفترة الحديثة هي تلك الثقافة التي أنتجت حديثاً، نتيجة لاحتكاك الثقافة والحضارة الجزائريّة بالحضارات الحديثة الأخرى، وتحديداً الحضارات الغربيّة، وتتكوّن هذه الفترة من: المسرح، السينما، الفنون التشكيليّة، الرواية والقصّة، الأوبيرا. يضاف إلى ذلك، التحديثات الواضحة لبعض المجالات في الثقافة الجزائريّة، كما حدث مع الشعر، إذ انتقلوا من الشعر العموديّ إلى الشعر الحرّ، وتمّ تحديث الرقص الفلكلوري إلى الباليه، ممّا يجعل الثقافة الجزائريّة خليطاً وتركيباً من ثقافةٍ وموروثٍ قديمٍ وحداثة الحضارات الحديثة، مع العلم أنّ هذه التركيبة ليست حكراً في الثقافة الجزائريّة، بيد أنّ جميع الثقافات هي مزيجٌ من موروثٍ قديمٍ ومكوّناتٍ حديثة. حدثت بعض التغييرات والتحديثات في الموروث الثقافي الجزائري، حتّى أنّ الكثير من التحديثات أدّت إلى إلغاء بعض المكوّنات والعادات التراثية القديمة، فعلى سبيل المثال، كانت النساء الجزائريّات في الماضي يغنين بعض الأغنيات التراثيّة الخاصّة ببعض المناسبات، كالختان، والزواج، والحج، ولكن ما لبثت هذه العادة أن تغيّرت بفضل التغيّرات التكنولوجيّة الحديثة التي طرأت، والتي جعلت وسائط متعدّدة ، وغيرها تحلّ محلّ هذه العادة التقليديّة القديمة، كما أنّ ظهور التلفاز، ووسائل العرض الحديثة المختلفة، قد ألغى ظاهرة الحكواتي، وسرد القصص، وغيرها.

من المظاهر التراثيّة الأخرى التي لم تستمر، ولم يستمر إنتاجها، هو الطابع الإسلامي في العمران الجزائري، حيث إنّ هذا العمران توقّف عند ما نشاهده من قصورٍ، ومساجدٍ، وغيرها من هذا العمران، حيث أن بالنظر إلى العمران الحالي، نجده خالٍ من الإبداع، ومن اللمسة العمرانيّة القديمة، بيد أن الشكل الحديث في البناء اصبح طاغٍ في شكل العمران الجزائري الحالي. لم تسلم الرقصات التراثيّة الدينيّة منها والفلكلوريّة من الحداثة التي أدّت إلى إيقافها، فعلى سبيل المثال كان منتشراً في الثقافة الجزائريّة القديمة رقصة العبداوي، وهي رقصة دينيّة، وكانت تقام على شرف أحد الأولياء في منطقة الأوراس، وقد توقفت هذه الرقصة الآن، ومن الرقصات الجزائريّة الأخرى التي توقفت هي رقصة (القرقابو)، وهي رقصة صوفيّة، كان يمارسها أهل جنوب غرب الجزائر، حيث توقفت هذه الرقصة ولم يعد أحدٌ يمارسها، أمّا

بالنسبة لرقصة (التوارق)، فهي كانت رقصة الحرب، والقتال، وكانت ترمز إلى حمية القبيلة، واقتراب القتال، وقد اندثرت هذه الرقصة أيضاً بفعل الحداثة التي أصابت الثقافة الجزائريّة.

ومن العادات التي مازالت يمارسها المجتمع الجزائري احتفالية "يناير" والتي هي مرتبطة بالشمال الجزائري شرقه، غربه والوسط، وكل منطقة تحتفظ بخصائص احتفالية بسيطة تختلف عن منطقة أخرى. كما تعرف بعض المناطق انتشار ظاهرة التويزة ولوزيعة كشكل من أشكال التضامن الاجتماعي (خواني، 2022، 98-114). يحافظ المجتمع الجزائري بعاداته الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، صيام عاشوراء، التزاور أيام عيد الفطر والأضحى كنوع من التقارب والتسامح بين العائلات الجزائرية.

2- حقول الثقافة الجزائريّة:

تعددت حقول الثقافة الجزائرية من خلال العديد من الانجازات في مجال المسرح والسينما مثلا تم إنشاء مركز وطنيّ للسينما، طرح تخصّصات السينما في المعهد الوطني للفنون الدراميّة، تطوير الإنتاج السينماتوغرافي. أما في مجال الموسيقى طرح تعليم الموسيقى في المدارس، إنشاء العديد من المعاهد الموسيقيّة في مختلف أنحاء الجزائر. ولحفظ التراث الثقافي العام تم إنشاء عدة مراكز ضمنت حفظ التراث الثقافي الجزائري، وهي: إنشاء ديوان تسيير الممتلكات الثقافيّة، إنشاء المركز الوطنيّ لأبحاث الآثار، إنشاء المركز الوطنيّ لحفظ الممتلكات الثقافيّة، إنشاء المركز الوطنيّ للمخطوطات.

1-الأدبُ الجزائري:

نشأَ العديدُ من الكتّاب المشهورين في الجزائر؛ الذين لهم دورٌ كبيرٌ في النهضة الأدبية، وكما حازوا على جوائز أبرزهم الكاتبة آسيا جبار، ومن أشهر الكتّابِ الجزائريين أيضاً أحلام مستغانمي، واسيني الأعرج والطّاهر وطار، فضيلة الفاروق ومفدي زكريا. كما برزت كتابات باللغة الفرنسية لمؤلفين جزائريين كمولود فرعون، محمد ديب، كاتب ياسين، مصطفى الأشرف ...

2-الفنون:

للفنون دورٌ كبيرٌ في بناءِ الحضارةِ الجزائريةِ؛ فنشأت العديدُ من الفنونِ على أرض الجزائر؛ كالفنونِ القديمةِ التّراثيةِ وصناعة التّحفِ؛ والفن المعماري وقد دخلت قائمةَ التّراث العربي والعالمي العديدُ من الآثارِ القديمةِ؛ كقلعةِ بني حماد وادي ميزاب، وآثار مدينة كويكول، والعديدُ من المتاحف المنتشرة والتّي توجد بها العديد من التّماثيل الرّومانية القديمة، وتماثيلُ الرّجالِ السّياسيين والفسيفساء، وما زال الفنُ منتشراً حديثاً في الرّسمِ وصناعةِ الحلي التّقليديةِ والملابسِ وصناعةِ النّحاس.

3-اللّباس الجزائري:

يتنوع اللباس التقليدي الجزائري من شرقه لغربه إلي جنوبه، فمثلا يرتدي الكبار في السّن اللّباسَ التّقليديَ الجزائريَ إلى يومنا هذا؛ كالقشابية والبرنوس، وخاصّةً في المناطقِ الدّاخليةِ، والنّساءُ يرتدين الحايكَ الأبيضَ أو الملايةَ السّوداءَ في منطقةِ الشّرق، وبعضُ الفتياتِ يفضلنَ ارتداءَ الحجابِ

العادي مع اللّباسِ المعاصرِ، وفي المدنِ الكبيرةِ يرتدي الكبارُ الطّربوشَ أو طاقيةَ الرّأسِ والعمامة. كما تلعب المناسبات الاحتفالية دور مهم في تحديد نوعية اللباس كالأعراس الذي يختلف حسب المناطق (شرق، غرب، وسط، جنوب) سواء للرجال أو النساء...

4-المطبخ الجزائري:

يمتاز المطبخ الجزائري بطابعه الخاص، فإلى يومنا هذا يضعُ الشّعبُ الجزائريُ على المائدةِ الأطباقَ التّقليديةَ ويفضلونها؛ كطبق الكسكسي وركيزته القمح، وخاصّةً في الأفراحِ والأتراح، ومن الحلويات التّقليديةِ التّي ما زالت تعدّ البقلاوة والغريبة والقطايف والكعك خاصية منطقة تلمسان. كما ينفرد شهر رمضان شهر الصيام بأطباقه الخاصة والمتنوعة عند العائلة الجزائرية، وكل منطقة ولها طبقها الخاص المفضل لديها كما تتنوع حلوياته وحلويات عيد الفطر؛ ونظرا لغلاء اللحوم الحمراء بالجزائر، صار الفرد الجزائري ينتظر العيد الأضحى لتناولها من خلال إحياء أضحية العيد...

5-الموسيقى:

تأخذُ الموسيقى حيزاً كبيراً من الثّقافةِ الجزائريةِ؛ فيفضلها الجزائريون على الكثيرِ من الأمورِ التّرفيهية، فيفضلونَ سماعَ الموسيقى العاطفية التّي تحرك المشاعر، والموسيقى ذات اللّون الشّعبي، والتى يكثر فيها الكلام عن الشعب الجزائري، وهناك نوعٌ يسمى بالغناوي وهو من الموسيقى السّودانية القديمة، والنّوع الصّوفي والوجدي والتّيندي.

4-التاريخ الثقافي للجزائر:

1-الإرث التاريخي والثقافي:

أينما وجد الإنسان، فهو يسعى إلى إعمار الأرض وتطوير نفسه وقدراته من خلال استغلال الإمكانيات المتوفّرة لديه، وبمجرد أن تلتقي جماعة من الناس وتعيش مع بعضها البعض في مكان واحد، فهم يبدؤون بتنظيم حياتهم، وإذا توفّر عندهم حالة من الاستقرار والتفاهم والأمان، فهم يبدؤون حينها بتطوير ذواتهم وصقل شخصياتهم للوصول إلى الإبداع وفهم الحياة، وهكذا يولد الإرث الثقافي للمجتمع في أي دولة، ومن هذه الدول التي تفتخر بإرثها الثقافي الجزائر.

2-التاريخ الثقافي الجزائري القديم:

يمكن أن نختصر موروثات الثقافة الجزائرية في عدّة محاور، فهناك الدين الذي يشمل المعتقدات والأمور التي كانت تتم ممارستها للتقرب من الله، فعلى سبيل المثال، هناك رقصة تسمّى "

القرقابو" للسمو بالروح والتقرّب من الله تعالى، بالإضافة إلى رقصة "العبداوي" والتي كان هدفها تبجيل الأولياء والصالحين في الجزائر، عدا عن ذلك فإنّ التراث القديم يشمل الأبنية والصناعات، فقد كانت هناك الصناعات اليدوية الفخارية النحاسية والجلدية التي كان يتم استخدامها للاحتياجات اليومية، والآن هي تستخدم فقط للزينة، هذا بالإضافة إلى الفن المعماري المتمثل في الرسوم والزخرفات التي تدلّ على الحضارات التي مرت فيها، فهناك المساجد التي تدل على الحضارة الإسلامية، بالإضافة إلى النقوش الهندسية التي تدل على الثقافة الأمازيغية المتمركزة في الشمال، كما يشمل التاريخ القديم القصص والحكايات التي كان يتم سردها في المقاهي عن سيرة الرسول عليه السلام، وقصص بطولات عمر بن الخطاب وخالد ابن الوليد رضي الله عنهم...، بالإضافة إلى الأغاني الفولكلورية التي تتحدث عن الحروب والقتالات في السابق، والرقصات التي كانت تؤدّى لهذا الغرض، مثل رقصة "التوراق" و"العلاوي"، وغيرها. كما تشتهر منطقة الشرق الجزائري بظاهرة الفانتازيا (الفروسية) فالبدوي الجزائري يمجد جواده ويعتبره كأحد أفراد العائلة أو أكثر...

2-التاريخ الثقافي الحديث في الجزائر:

تعتبر الجزائر أكبر بلد في إفريقيا، وهي واحدة من أغنى الدول العربية من الناحية الحضارية والثقافية، وذلك بسبب مرور العديد من الأمم والحضارات على أرضها كالحضارة الرومانية واللاتينية، حيث تمتلئ متاحفها بالآثار الدالة عليها. أما في مجال الكتابة والتأليف كانت الثورة الجزائرية واحدة من أهمّ الأسباب التي أدت إلى بروز العديد من الأدباء والشعراء الذين نسجوا أروع القصص عن الثورة والثوار وتغنوا بها، ويعد مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، والذي بدوره قام بكتابة النشيد الوطني للجزائر، ولم تقتصر الثقافة الجزائرية على الثورة فقط، فهناك أيضاً كتابات عن الحب والحياة الاجتماعية وجميع المجالات في حياة الجزائريين. أما في مجال صناعة الأفلام والموسيقى كان للسينما دور كبير في عرض التجربة الجزائرية الثقافية، فمن أهم الأفلام الجزائرية فيلم معركة الجزائر، بالإضافة إلى وقائع سنين الجمر في العام 1975م،أمّا في مجال الموسيقى والغناء، فلعل من أكثر الأنواع الغنائية شهرة ليس في الجزائر فحسب بل في العالم أجمع هو الراي، والمتميز بأغانيه الخارجة من التجارب الواقعية للناس ، كما أن هناك العديد من الألوان الغنائية كالشعبي، والصوفي الديني، والحوزي الذي غالباً ما يتم استخدامه في الأعراس والمناسبات، وطبعاً الأغاني الوطنية الثورية. كما تتعدد المراكز الثقافية في كل مدينة كبيرة في الجزائر، كالمكتبات والمتاحف والمسارح، والتي من أشهرها متحف باردو، ومتحف الفنون الجميلة، والتي لا تقتصر فقط على عرض الموروث الثقافي، بل تشمل أيضاً على عقد دورات وندوات تعليمية وثقافية، ومن الجدير بالذكر بأنّه يوجد العديد من الصحف اليومية والأسبوعية الإخبارية والثقافية ، بالإضافة إلى مجموعة من القنوات التلفزيونية والإذاعية.

3-أسس ثقافة المجتمع الجزائري:

يحوي الأمازيغ أقدم المعالم الثقافيّة على أرض الجزائر، وتتمثل بالصناعات اليدويّة الشعبيّة التقليديّة المنتشرة في كل الجزائر، وتمتاز الثقافة الأمازيغيّة بعدّة ميّزات حيث أنها تحتوي على أقدم المعالم الثقافيّة الجزائريّة، وتعتبر في غالبيتها ثقافةً شفويّةً. ونذكر أن الأساس العربي يكمن في دخول الإسلام إلى أرض الجزائر، هو الذي أعطاها الطابع العربي، كما أن القرآن الكريم نزل بالعربيّة، وكان هذا من أهمّ الأسباب التي أعطت الكتابات الجزائريّة طابعها العربي، ومن العوامل التي أعطت الجزائر طابعها العربي هو زحف قبيلة بني هلال العربيّة إلى أرض الجزائر في القرن الحادي عشر ميلادي، ولكن قد كان للاستعمار الفرنسي أثره الواضح في إحداث الخلل في اللغة العربيّة في الجزائر، والذي جعل الكثير من المنتوجات الفكريّة الجزائريّة مكتوبةً بالفرنسيّة نتيجة الغزو اللغويّ الفرنسيّ. نشير إلى أن الأساس الإسلامي هو العنصر المشترك بين الأمازيغيّة والأساس العربي، فالإسلام يعتبر هو المرجع الديني في التراث الجزائري، في الشعر، والحكايات، والعديد من الإنتاجات الأدبيّة الجزائريّة، ولكن هذا كلّه لا يعطي الثقافة الجزائريّة اسم الثقافة الإسلاميّة؛ لأنّ الثقافة الجزائريّة حالها حال أيّ ثقافةٍ في العالم، تشمل الفلكلور عامة وغيره من المظاهر والعادات التي لا يمكن أن ننسبها بالأساس إلى الإسلام.

فالثوابت الثقافية التي تؤسس للهوية الجزائرية تتمثل في اللغة العربية والدين الإسلامي والانتماء للوطن وهذه الثوابت رسختها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إبان الثورة التحريرية ومازالت مستمرة تجري في عروق كل جزائري معتز بهويته الوطنية والثقافية.

خاتمة:

رغم الانجازات المادية في مجال قطاع الثقافة في الجزائر إلا أننا نلمس افتقار الجزائري لثقافة متحضرة لأنه عايش عدة هزات جعلت منه غير مستقر اجتماعيا ، اقتصاديا، فالثقافة توجه التحضر وهذا الأخير يلزمه الاستقرار وتطبيق القوانين العادلة التي تؤسس لثقافة مجتمع. ومن أبرز النقاط رأيناها ضرورية لبناء ثقافة مجتمع وهي كما يأتي:

- القيام بأعمال بالتشارك و الافراد ، وعملية التشاور، من خلال ورش العمل ، والتدريب ، والأنشطة المتعمقة حتى يتمكنوا من إظهار ثقافاتهم المحلية الخاصة بهم ومن ثم الترويج لها.
- تكامل الجامعة والبحث الأكاديمي ، كفاعل مهم ، من خلال تجسيد خرائط الطريق و توصيات التي توضع في خاتمة المؤتمرات ، من خلال الدراسات الأنثروبولوجية التي يقوم بها الباحثون والمختبرات وأي هياكل ناتجة عن الجامعة.

- محاولة هيكلة مؤسسات القطاع الثقافي في الجزائر للكسر مع الآلية الإدارية محليًا والتي تدير ظهرها للمجتمع المحلي، مما يخلق فجوة عميقة بين الفاعل الثقافي والإدارة.
- دراسة وخلق نهج يمكن أن يعطي ديناميكية للمتاحف، لجعلها مفيدة وحيوية في كل منطقة، وبالتالي إيقاظ الذاكرة المحلية، والإثراء الاقتصادي.
- قطاع ترميم الأبنية المعمارية والأثرية والتراثية مهمش وبشكل مقلق، كذلك المباني والمدن القديمة ، لابد من ميثاق قوي و قانوني حقيقي يضمن الحفاظ عليها.
- ارساء خرائط ومخططات عمرانية لكل مدينة تحدد معالمها الثقافية المراد زيارتها مع إبرازها بعلامات داخل المدن.
- تثمين شخصياتنا الفكرية والتاريخية والفنية، من أجل دراسة إجراءات أفضل، لتخليد فكرهم وأعمالهم، عن طريق ترميم مساكنهم القديمة ومحيطها وجعلها متاحف مفتوحة، من أجل تشجيع أي شخص على احترام ذكرى هذه الشخصية.
- التركيز على الفئة العمرية للأطفال، والمتمدرسين، ومراجعة مشروع المدرسة، من خلال دمج التراث المادي واللامادي والشخصيات الفنية والكتاب والمفكرين الجزائريين كأولوية في البرامج المدرسية.
- إعادة إطلاق مشروع المدرسة القرآنية المحدثة من أجل الترويج لمسابقات حفظ القرآن الكريم ودمجها بين أطفال المدارس.
- مراجعة البرامج الجامعية والمدارس ومعاهد الفنون الجميلة واشراكها وشخصية الفرد بالمجتمع و هويته.
- تعزيز السياحة الثقافية وتشجيعها وكذلك تعزيز المعرفة المحلية، باعتبارها تراثًا ملموسًا.
- فتح الباب أمام إنشاء مراكز ثقافية لمجتمعات ذات اهتمام ثقافي وحضاري مشترك مع الجزائر
- بلورة الثقافة اعتبارا من جوهر المجتمع "الفرد وسلوكياته مع الآخر ومحيطه وارهاصاته عبر ما توارثه" و ترسيخ آليات تبحث و تكرس لهذا الانتاج التلقائي الذي يجسد شخصية المجتمع وهويته وخصوصيته بسلاسة، كمركز اشعاع ثقافي أصيل يصقل ثقافة المجتمع.

المراجع:

1. أبو هلال، أحمد. (1974). مقدّمة في الأنثروبولوجيا التربوية. المطابع التعاونية. عمّان. الأردن.
2. أبو زيد أحمد، (1978)، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية. دار النهضة العربية، بيروت.
3. الجباوي، علي. (1997). الأنثروبولوجيا – علم الإناسة. جامعة دمشق. سوريا.
4. سليم، شاكر. (1981). قاموس الأنثروبولوجيا. جامعة الكويت.
5. المظفر محمد رضا، (1985)، المنطق، دار المعارف، بيروت.
6. مصطفى فاروق أحمد وإبراهيم محمد عباس، (2009)، الأنثروبولوجيا الثقافية. دار المعرفة الجامعية، قنال السويس، مصر.
7. خالد خواني، (2022)، أشكال التضامن الاجتماعي في الموروث الثقافي الجزائري – التويزة ولوزيعة أنموذجا، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 8، العدد 1،ص ص 98-114.